

هندسة التكوين في العلوم الإنسانية

والاجتماعية واقع ومطالب

طالب الدكتوراه: طلحة محمد الأستاذ المشرف: د/جلوش مصطفى

جامعة سيدي بلعباس - الجزائر

salaadjihad@yahoo.com

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإرسال
2018/11/15	2018/09/23	2018/07/17

ملخص :

لا نستطيع أن نستوفي مكانة العلوم الإنسانية والاجتماعية في ضرورتها للحياة البشرية بما تمثله من بنية تحتية لكل كيان حضاري، فهي التي تتناول الإنسان بدراسته في مختلف أبعاده الذاتية والموضوعية فتدرس سلوك البشري في ثقافتهم وخبراتهم وعلاقاتهم بالكائنات والمنظومات الأخرى، وهي بمخرجاتها سبيل لتنمية والنهوض وتغيير للحفاظ على الهوية الوطنية ومواجهة تحديات علمية هدامة التي أصبحت أحداهم نتائج العقل المعاصر وفي ظل هذا الوضع، تواجه الجامعة الجزائرية تحديا كبيرا فرضته متطلبات العصر المختلفة ولا سيما العلمية منها التي زادة من حدة التغيرات الاجتماعية بفعل ظاهرة العولمة والانفجار المعرفي الأمر الذي يستدعي إعادة التفكير في مكانزمات هندسة التكوين في حقل هذه العلوم بعد أن أثبتت كل الدراسات فشل المنظومة التعليمية الجامعية بتبنيها مناهج مستوردة في تحقيق تنمية واللاحق بركب التطور من خلال تحقيق مجتمع معرفة.

الكلمات المفتاحية: هندسة التكوين؛ العلوم الاجتماعية؛ متطلبات التكوين؛ الجامعة الجزائرية.

The abstract:

Human science and its importance for human life. It represents the infrastructure for each civilized entity. It deals with human being either in its subjective or objective dimensions. Furthermore, it studies behavior according to cultural aspect, people experiences and examines relationships with different systems. From this context it is seen as a way for development and a positive change that could help us to defend our national identity and to resist against destructive and negative results of modern spirit. Algerian university gives importance to such problem by facing the negative aspects of globalization and explosion of Knowledge. From this point, it will be so necessary to rethink about mechanisms of engineering training in the field of human science. This becomes so relevant after the failure of previous programs when adopting inappropriate and imported methodologies. Hence the aim is to establish a developed society of knowledge.

Key words:

Engineering training; social sciences; training requirements; Algerian university.

مقدمة:

إن العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية بما تحتويه من تخصصات معرفية تهتم بالإنسان والمجتمع تشكل أداة لإحياء عقل الطالب ومصدرا لخبرته من خلال ما توفره من أدوات ومناهج، تجعل منه باحثا يخضع الظواهر المطروحة على الواقع المعاش محل تساؤل وتقييم بواسطة الممارسة النقدية الإستمولوجية، لتحقيق الإبداع الفكري، والوقوف عند العوائق والعلل التي تحدث التغيير وتفقد تماسك المجتمع، وإصلاح المبادئ والمناهج التي لا تفي

بالغرض بمنطق يساعد للوصول إلى نتائج الصحيحة، والخروج من مسار التفكير الممنهج الذي لا يعتمد على الموضوعية ويخضع لنمطية، فعالمنا اليوم يتسم بخصائص متنوعة فالتطور المعرفي والتكنولوجي والتسارع وانهايار الفواصل الجغرافية وظاهرة العولمة، وغيرها من الوقائع التي لا بد من وعي أثارها على حياة الأفراد والمجتمع، وهو ما يجعل العلوم الإنسانية والاجتماعية في قلب الرهان، خاصة وأن مجتمعنا يمر بفترات يحسد عليها أمام الخرق الرهيب للأيديولوجيات وسياسات المدروسة من طرف الخبراء الأجانب الذين يتحينون الفرص لتميع منظومتنا التعليمية عموما والجامعية خصوصا ترهيبا وترغيبا، للحيلولة دون التمكين للمجتمعات الإسلامية من تشكيل وعي الاجتماعي والعلمي حتى تفقد سيادتها على مقوماتها وخصوصياتها. ومجتمعنا الجزائري لا يستثنى من هذه الحرب الخفية، التي لا نلقي لها بال ومن هنا كانت الأهمية لإعادة النظر في المقوم الأول والمتمثل في المنهاج البيداغوجي العلمي للعلوم الإنسانية والاجتماعية من أهم الأولويات للجامعة الجزائرية لهندسة التكوين تهتم بالأستاذ والطالب معا، لترقى بهما إلى مصاف الجامعات العريقة لتحمل مسؤوليتها للكشف عن بنى المعرفة الفاعلة في وعي الأفراد والمجتمع، حتى لا يبق عرضة للقذف من تأويلات وإصلاحات الخارجية وعليه: فالإشكالية التي نريد أثارها في هذا الموضوع تتمحور حول الكشف عن واقع العلوم الإنسانية والاجتماعية في الجامعة الجزائرية وما هي أهم المطالب التي يجب مراعاتها لنجاح مخطط هندسة التكوين في هذه العلوم ؟

1- العلوم الإنسانية والاجتماعية واقع وتأزم:

تعتبر العلوم الإنسانية والاجتماعية من أهم التخصصات الجامعية التي تهتم بالمجتمع وتنميته، وهي الغاية المستهدفة لتحقيقها، الأمر الذي تحاول

الوزارة التعليم العالي والبحث العلمي ملاسته على الواقع المعاش، من خلال تحديث كليات العلوم الإنسانية والاجتماعية وتأطيرها عبر كافة الجامعات المنتشرة في ربوع الوطن، وسعيها لتوفير أكبر عدد من المقاعد البيداغوجية لتحقيق وثبة تنموية تساهم في تحسين المناخ البيئية الاجتماعية في الجزائر، وهي في نفس الوقت فرصة لتكوين طلاب في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية وفق مناهج علمية مدروسة تلائم المجتمع الجزائري العربي المسلم، إلا أن هذا التكوين لا يخلو كغيره من العوائق التي تنحوا به إلى غير جادة الصواب وهو ما يلزم الأخذ بعمليات توصيفية تشمل التقويم، وإعادة التخطيط لهندسة التكوين تأخذ على عاتقها تحديات المعاصرة¹ لتحسين مخرجاتها وأولها الكادر بشري الواعي بالمهام المنوطة به.

لقد أشارت كل الدراسات المتعلقة بتقويم التكوين في العلوم الإنسانية والاجتماعية في الجامعة الجزائرية أنها تعيش أزمتا وإشكاليات، ومعوقات مختلفة أثبتتها عجز هذه البرامج عن مواكبة التحولات السريعة التي يعيشها عالمنا المعاصر، فالعقل العربي عامة بما فيه العقل الجزائري عجز عن تكوين جهازه المفاهيمي ومقولاته الفكرية طبقا لبيئته الاجتماعية ليضع قطيعة معاستزاد واجترار للمفاهيم الآتية من العقل الغربي .

2- التكوين والإصلاح في العلوم الإنسانية والاجتماعية :

لا يقل مطلب الإصلاح عن مطلب التكوين أهمية بل يقف نجاح البرنامج الأول على مدى نجاعة الثاني الذي بواسطته ننتج النخب الجديدة ذات الرؤية الثاقبة وأكثر انفتاحا على العالم الجديد والمتجدد وأكثر تفهما للقيم المتغيرة وهذا ما يبرر الدعوة إلى هندسة التكوين وفق معايير وآليات علمية دقيقة ، كما يبرر كذلك فتح هذا الملف أمام التفكير الذي تأخذ به جامعتنا لعدة أسباب غاية في الأهمية، فحالة الجمود والتقهقر الذي أصاب

الوعي الاجتماعي على الرغم من تأسيس جامعات ومعاهد بعد الاستقلال، ورغم مستويات الإنفاق على البرامج التكوينية في التعليم العالي والتربية والتعليم في مجتمع أدركت فيه النخب الإصلاحية منذ القرن التاسع عشر الحاجة إلى التعليم وإلى مدرسة وطنية معاصرة كرهان للتقدم، وعلى الرغم من مرور أكثر من خمسة وأربعون سنة على تأسيس الجامعة الجزائرية يظل وباء الأمية متفشى في جسم المجتمع الجزائري وهو ما ينعكس على كل شعار لنهضة الذي يبقى مهزوما طالما بقي الوضع على حاله وبالمثل تبقى الديمقراطية شعارا، ويبقى هاجس التنمية معطل، وتبقى الثورة الثقافية أملا ميؤوسا منه، وتبقى الحرية على محك رهينة تحرير الوعي الاجتماعي².

لقد أسفرت تجربة التعليم المنتهجة في الجزائر اليوم على محصلة فقيرة معرفيا ألفت بتداعياتها على المجتمع الحالي، بما أفرزته من قوى بشرية لا تستجيب إلى متطلبات العصرية، تأسس تكوينها على مناهج مستوردة لا تتوافق وحدثات المجتمع العربي الإسلامي، مما أحدث فجوة معرفية كبيرة تعرض هذا الأخير إلى كل أخطار الاندثار والذوبان، وهو ما تؤكد كل مؤشرات التنمية البشرية المقدم من طرف الأمم المتحدة، حيث يبرز فيه مستوى التدهور في مناهج النظام التعليمي العربي عامة إلى جانب عوامل عديدة زادة من انهيار المنظومة التعليمية، وعلى سبيل المثال لا الحصر سوء السياسات التعليمية المطبقة التي جاءت في مقدمتها سوء التسيير الإداري للمؤسسات التعليمية والجامعية، وضعف الاهتمام بقطاع البحث العلمي وتهميش دور الأستاذ الجامعي في المشاركة في تخطيط سياسات الإصلاح وهندسة التكوين³.

هذا الواقع كان سببا في تضاعف المعاناة بعد الهيمنة المطبقة من قبل المنظمات العالمية التي باتت تفرض إصلاحات تحت الطاولة، بعد الألفية

الجديدة حيث أصبح التعليم في الدول العربية بكل مستوياته ولاسيما المنهج العلمي وفي إصدارته مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية في قلب جدول أعمال أجهزة مخابراتية لتأويل خياراته، خاصة منها الدينية مما جعل هذه الدول تحت إملاءات أجنداث أوروبية وأمريكية، ومنها المنظمة العالمية لتجارة التي أصبحت تساوم الانتماء إلى مؤسساتها بتعديل وتغيير الكثير من المناهج التعليمية والقوانين المعتمدة في الدول العربية، مما جعل قرار إعادة صياغة المناهج في ظل سلطات ضعيفة تحت ضغط القوى الغربية أمر لا مفر منه، وتأتي المناهج العقائدية والتاريخية في صدارة الطلب، لتفقد الأجيال أهم ركن من وجودها ممثلاً في عنصر الهوية وإلا اتهمت هذه المنظومات العربية بإنتاج الإرهاب، مما يجعله متحركاً داخل المعادلة الخلدونية المغلوب يتبع الغالب⁴.

هذه العوامل الضاغطة تدعونا إلى إعادة التفكير والتخمين في هندسة التكوين المنظومة الجامعية عامة في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية خاصة باعتبارها الأكثر ضرورة لأنها أصبحت تنازع الإنسان العربي حتى في وجوده الذاتي.

3- متطلبات الإصلاح وهندسة التكوين:

إذا كانت تحديات القرن العشرين ميزتها سرعة التغير والتطور فإن الدلائل تشير إلى أن القرن الحالي لن يكون استمراراً للواقع الحالي بل سيشهد تغيرات وتطورات تكون بمثابة تحديات لكل دول العالم وهذا ما يتطلب من جامعتنا الاستعداد إليه لمواجهة مختلف هذه التحديات بكل ما تملكه من قدرات فالثورة التكنولوجية والتغير الاجتماعي المطرد والانفتاح الإعلامي والثقافي والحضاري والتحديات الأمن القومي في ظل الظروف الدولية⁵، لا شك أن كل البلدان تسعى إلى تطوير تعليمها العالي لكي

يستجيب إلى متطلبات العولمة الحتمي ومستلزمات التحول المعرفي الذي تؤكدته الفترة المعاصرة في ظاهرة ما بعد الحداثة ،وكذا مستلزمات التحول المعرفي في ظل التنافس العلمي الفكري والتقني بين الأمم كميّار للتفوق والتقدم، مما يستوجب الوصول بكل ميكانيزم للإصلاح في التعليم العالي إلى تحقيق الجودة الأكاديمية التي تعتمدها المنظمات الدولية في ترتيب الجامعات والتي تعتمد على جودة التعليم وغزارة الإنتاج الفكري والعلمي والأدبي والاجتماعي،⁶ ومما سبق يتبين لنا أهمية وضرورة دراسة متطلبات الإصلاح في العلوم الإنسانية والاجتماعية لأنها من أهم السبل لإعداد الإنسان القادر على الحفاظ على هويته ووطنيته معتر بانهما ومحافظ على مكتسباته الحضارية ومن أهم قوى التغييرية في المجتمع وتعتبر الأساس التي تنهض عليه الحضارات حيث يقول الفيلسوف ديكارت في كتابه مبادئ الفلسفة إن حضارة الأمة وثقافتها تقاس بمقدار شيوع التفلسف الصحيح فيها ، لذا نقول سواء أكانت هناك عقبات أم عوامل أمل فإننا بحاجة لإنعاش وتفعيل دور العلوم الإنسانية والاجتماعية من خلال الإصلاح في المناهج والبيداغوجيات طرائق التدريس والمواضيع لتفعيل دورها في وعي الطالب ثم المجتمع ولذلك فمن اجدر لتحقيق الإصلاح في هذه العلوم وجب تضافر جهود مجتمعة للهيئات السياسية والاقتصادية والعلمية والدينية لتحقيق دور الفعلي والفاعلية لهذه العلوم .

3-1 متطلبات سياسية:

لا يمكن أن تنتظر الجامعة الجزائرية وكذا السلطة السياسية المخول قانونا والمنوطة بإعادة رسم خارطة طريق، بتشكيل خلايا ولجان خبراء لفك شفرات هذا الانتكاس، ورد الاعتبار للعقل الجزائري وهويته التي أدركتهما الإخاطر المحيط بهما، والتي قد تتمكن منهما في حالة عدم إعادة هيكلة برامجها البيداغوجية ومناهجها التربوية، والقيام بتعبئة إطاراتها البشرية ممثلين في كل

القوى العلمية الجامعية من أساتذة ونقاد وباحثين، فالمهمة السياسية لها من الدور ما يجعلها المبادرة بالإصلاحات عن طريق قرارات ومراسيم شجاعة وسيدة، تأخذ على عاتقها إعادة الاعتبار للموروث الحضاري والمعتقد الديني وتاريخ الأمة والهوية الوطنية كمسلمات غير قابلة لتنازل عنها، وهذا ما يتطلب سلطة تحمل من الشرعية الشعبية حامية لها ما يجعلها سيدة موقفها.

إن ما نعيشه اليوم لا يوحي بأننا نملك مصيرنا، فالانصياع غير بريء للإملاءات الأجنبية والخنوع الظاهر على محيا الكثير من القائمين على هذه المهام وتبريراتهم المقدمة تؤكد على أننا نمر بأيام عسيرة، قد نفقد منها مالا نستطيع رده إلا بعد أجيال وبعد كدح طويل.

ولعل من نافلة القول أن نذكر بأن الانصياع والاستحذاء للإملاءات الأجنبية والتي تدعوا إلى تزوير التاريخ ليتناسب مع مطالب سياسية حقيرة وقصيرة المدى قد ترقى في يوم ما إلى مستوى العدوان على الأمة وتاريخها ومقوماتها، وهذا الأمر قد يتسبب في فتح بؤر تحمل في طياتها كل أنواع العنف الاجتماعي⁽⁷⁾.

3-2 متطلبات اقتصادية:

تعتبر الضرورة الاقتصادية أحد أهم المطالب التي تبنى عليها الكثير من الأولويات، ولا سيما منها التعليمية فلا يمكن أن نفصل موضوع تنمية على التنمية الاقتصادية فإذا كانت الأزمة في هذا الأخير فستنعكس لا محالة على باقي المجالات، فالعنصر التمويلي لا يقل أهمية لتحقيق أي مخرجات، فإذا تأخر المدد المالي زمانيا قد لا يحقق ما كان مرجوا، وفي المقابل لا يمكن أن تحقق الدول نهضة اقتصادية بمستوى تعليمي ضعيف يشوبه الغموض لا ينتج منها هبة ذاتية، يعتمد على تفكير خارج عن أطره العقلية وبيئته الاجتماعية.

إن الدول الغربية المتقدمة علميا وتكنولوجيا لم تغفل عن الدور الذي تقوم به العلوم الإنسانية والاجتماعية، وأدركت أهميتها منذ قرون ماضية، فأنشأت العديد من المؤسسات ومراكز للبحوث ودعمتها ماليا وبتمويلات قد تصل إلى قيمة التمويلات العسكرية ودعمتها معنويا، ومنحت لها كل التسهيلات اللازمة للوصول غالى المعلومة وجعلت من الاقتصاد خادما للعلم والعلماء، وعظمة من شأنهم لأنها تدرك جيدا أن النهضة لا تصنعها الآلة وإنما تصنعها الأفكار، وأن مبدع هذه الآلة ليس أعلى شأنا من الأديب والتقنية ليس أعلى قيمة من الفن وهو ما لم نستجيب له نحن.

3-3 متطلبات علمية:

ترتبط هذه المطالب بوضع البحث العلمي في الجامعة الجزائرية بعدما أهدرت القيمة الفكرية والتنموية للأبحاث المنجزة من طرف الباحثين والأساتذة وكأنها لا حدث، وبقيت حبيسة الأدراج الجامعية واستهين بها من قبل الفاعلين وجمدت إلى حين.

إن الأبحاث العلمية التي أنتجتها الجامعة الجزائرية قد نجد منها ما يؤسس لمستقبل البلاد، ويؤهلها إلى مصاف الدول المتقدمة⁽⁸⁾ ويخرجها من الأحوال التخلف الذي تتخبط فيه، فالعقل الجزائري برهن في كثير من المجالات أنه لا يقل أهمية وكفاءة عن العقل الغربي إذا ما توافرت له الشروط الرعاية اللازمة، وهذا ما يبرهن عليه الكثير من الأساتذة خريجي الجامعة الجزائرية عند انتقالهم إلى الجامعات العريقة الغربية أو الآسيوية أو الأمريكية لمواصلة بحوثهم العلمية، الأمر الذي يجب أن تعيه وتستدركه الجهات المسؤولة الذي يحمل الكثير من المخاطر من جراء التعتيم والتغافل، وعليه يجب الاهتمام بالبحث العلمي وبمكانة الباحث العلمي في الجامعة الجزائرية من خلال فتح المجال للحرية⁽⁹⁾ البحثية العلمية، وإعادة التفكير في فتح ورشات الإصلاح⁽¹⁰⁾

المستمر ومن دون تردد فهو مطلب قد فرضته الظروف البادية للعيان ولا تقبل الانتظار، وإلا أصبح التعليم والمنظومة الجامعية تحت وطأة التغييرات الأجنبية الهدامة، وتحت سيطرة الإيديولوجيا التي تفتك بالوطن، وليس الانتفاضات العربية لجيراننا وفي المشرق العربي ببعيدة، فانتفاضة شعب متعلم واعٍ أهون من انتفاضة شعب جاهل أهملته حكوماته يوما ما.

3-4 متطلبات دينية:

لا تقل المطالب الدينية في برامج التكوين في الدول العربية والإسلامية أهمية، ومراعاة العقيدة كحصن للأمة كأولوية داخلية محضة من المهام المنوطة بالسلطة السياسية، بعدما وصل تجرأت المنظمات العالمية غير حكومية بطلباتها الاستفزازية بحذف بعض الآيات من القرآن ككتاب مقدس للمسلمين، وبعض الشعارات الوطنية من الكتب العلمية، وبالفعل لم تكون هذه المطالب تهكمية، بل كانت ومن المؤسف جراء تكلس وسقوط في النزاعات المذهبية والعصبية الدينية المنتشرة في الدول والمجتمعات العربية⁽¹¹⁾، أنتجت جيلا فاقدًا لمرجعياته الدينية، تتجاذبه الفتاوى التكفيرية مستغلا من طرف جهات تعمل على تميع الدين الإسلامي من جراء إحياء الفتن المذهبية والطائفية الدفينة في أغوار التاريخ الإسلامي، وأصبح أداة بيد أجنبية، تقذفه من مكان إلى مكان بدواعي حقيرة، ظاهرها إحياء النزعة القومية للمسلمين لتحقيق الخلافة المهدورة، وبطنها سيطرة وتخريب للأوطان العربية الإسلامية بيد أبناءها مستغلة هشاشة الوازع الديني والأخلاقي لهم.

وفي هذا الشأن لزم على التكوين في العلوم الإنسانية والاجتماعية أن يأخذ على عاتقه إصلاح جذري للبرامج في جانبها العقائدي بمحمل الجد وإعادة بلورة مناهجها بتبني القيم الأخلاقية الإسلامية، وذلك في مقررات المنهجية في جميع الأطوار الدراسية والانفتاح على التسامح النابع من ديننا

الحنيّف بما يجعل الأجيال القادمة صامدة أمام التحولات الكونية و تطرف الديني .

4- العولمة وإعادة التنظير لهندسة التكوين :

تميزت العولمة بأدوات تنشر من خلالها ثقافة الدول الغربية ومن بينها الانترنت ونظم التخزين وتكنولوجيا الاتصال ، وبهذه الأدوات أصبح الغرب يستمد قوته الفكرية من قوته التكنولوجية التي أضفت السيطرة على الثقافات المجتمعات الأخرى ومن بينها وأهمها ثقافتنا العربية الإسلامية ، ولعدم ملائمة هذه الثقافة مع قيمنا وأخلاقنا أسهمت بقدر كبير في تغيير طبيعة مجتمعاتنا المسلمة بعدما أصبحت واقعا فعليا تفرض ثقافة مروجيها طوعا وكراهية ، وعليه لم يعد الإصلاح وتكوين مطلبا داخليا ولا كصمام ووقاية من التدخلات الأجنبية بل يجب أن يراعى فيه الأولويات التأهيلية لتواءم مع مستوى التطور المعرفي الكوني، فلا يجب أن يستنسخ ولا يجب أن يبقى حبيس الكلاسيكية المغلقة التي لم تعد تفي بالغرض والمقاصد العصرية، ولا يجب أن يستند إلى إيديولوجيات فاقدة المعنى ولا إلى وازع معرفي اجتماعي متأزم بعدما فشلت الوحدة المبنية على القومية العربية أو على الصحوّة الإسلامية، بل نستطيع أن نصرح أن المنظومة الفكرية المتماسكة التي تحمل شعار الوحدة أصبحت معزولة، بل قد ولت، وإن الواقع المعاصر في ظل العولمة الخارقة للجغرافيا والدولة الوطنية⁽¹²⁾ سمحت بتداخل الثقافات وتلاقحها وتجانسها ، خاصة مع انتشار التكنولوجيا الاتصالية المفتوحة والرهبة، والتي أصبحت أمرا محتوما لا ينظر فيها إلى القبول أو الرفض، فإما المشاركة أو ذوبان فالكل غدا يبحث عن دوره في صياغة توجهاته وتوجهات غيره العلمية والثقافية والسياسية والاقتصادية، بما يخدم مصالحه الحاضرة

والمستقبلية، فالمنظومة العلمية جزء لا يتجزأ من هذا الصراع المحموم والمحتوم، خاصة مع هذا الفضاء المفتوح، ولم تعد هناك نخبة علمية متميزة تستطيع أن تفرض رؤيتها على مجتمعاتها، وهذا ما يجعل اختراق المجتمعات عبر شبكات الاتصال أمر محتوما أينما كانت فإذا كانت هناك فراغات أو عزلة لم تسد من قبل القائمين عليها، فحتما تستغل ضدها وتفتك بها، وفي بيان لمنظمة اليونسكو جاء فيه " لهذا يواجه التعليم العالي بنفسه تحديات هامة تلزمه بالتغيير والتجديد بشكل أكثر جدية لم يسبق له أن قام بمثله بحيث يمكن مجتمعاتنا الذي يعرف اليوم أزمة خطيرة على صعيد القيم من الانتقال من الاهتمامات الاقتصادية الخالصة إلى أبعاد أعمق في الأخلاق والروحانيات..."

هكذا فالعولمة تعيد تشكيل بنية الحياة وأهداف الإنسان المعاصر كليا بمعزل عن مكان تواجده، فهي بما تمثله وما تمتلكه من وسائل تأثير يجعل من المقاومة أمرا شكليا ونسبيا، وعليه وجب على مؤطري برامج التكوين الجامعي أن يعوا هذه المرحلة الحاسمة التي تتسم بوضع جديد لا يمكن أن التغاضي على ما تخلفه من تداعيات ، فالعولمة ليست امبريالية معاصرة أو ليبرالية جديدة أو هيمنة أمريكية فحسب، وإنما تحول كوني⁽¹³⁾ وثمر من ثمرات القرن الواحد والعشرون فالانضمام إليه السبيل الأوضح للمشاركة في صناعة التحولات، وإلا التهميش والاندحار والاندثار.

5- تقادم المناهج وضرورة إعادة هندسة التكوين:

إن مشكلتنا نحن في عالمنا العربي هو جهلنا لواقعنا المجتمعي المعيش لأننا لا نغير الاهتمام الكافي لتقنيات البحث الميداني التي تعتبر أساس المنهجية في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، فتحكم العلمي في أي مجتمع يقوم أساسا بالاعتماد على أدوات وتقنيات علمية في هذه العلوم ، لقد اعتمد الغرب في تقدمه وتطوره على العلوم الاجتماعية والإنسانية لفهم واقع مجتمعاتهم وكان

استعمالهم لهذه العلوم يرتكز أساسا على التناول العلمي والمنهجي لمعالجة ظواهر الحياة اليومية التي تختلف عن طبعتنا الاجتماعية، وموروثنا الحضاري وقيمنا الأخلاقية والثقافية لذا عجز المنهج البيداغوجي والديداكتيك الجامعة الجزائرية كنموذج عربي، وذلك عندما تبنى المناهج الغربية وخاصة في جانبها الفرنسي كمقاربة مرجعية أعتقد فيها النجاعة المطلقة والعقلانية الصرفة حتى أضح رهينة لهذا الوعي الاستثنائي، إن استيراد المناهج العلمية المعدة أساسا لبيئة تختلف ثقافيا وعقائديا واجتماعيا واقتصاديا عن بيئتنا شكل حقيقة خطرا نبتلع حصائده مرغمين غير راغبين، وخير مثل على ذلك نظام ل.م.د الذي هو نظام دراسي غربي أعد على مقاس الدول الأوروبية التيواجهون به تحديات اعترضتهم وفقا لمعطيات اقتصادية وعلمية متطورة في نهاية القرن العشرين، قامت الجامعة الجزائرية باعتماده دون قراءة لعواقبه على مخرجاتها التي لا تقف مستوياتها على حد سواء مع المستوى الجامعات الغربية، وجعلت من طلابها حقل تجارب، ليس من المحذور أن تتبنى مناهج علمية إذا كانت تفي بمقاصد فكرية بحته لا غايات ثقافية إيديولوجية⁽¹³⁾ ورغم ذلك لا يمكن تبرئة المناهج الغربية مطلقا، لأنها تكون حتما مبطنة بدسائس سياسية وثقافية معلمة تحاول من خلالها احتواء وسيطرة على الوعي العربي عامة، حتى تفقده هويته وانتماءه، لكن ما يحز في النفس هو الصراع من أجل الإصلاح في الجامعة الجزائرية، الذي يتقاذفه أكثر من طرف، فمن يرمي إلى ضرورة الإبقاء على النموذج الفرنسي، ومنهم من ينادي بتخلي على كل مستورد، ومنهم من يرى في ضرورة التنويع بين المناهج الغربية ممثلة في مدارسها الفرنسية والانجليزية والألمانية حتى تتوافر البدائل بينها، إذا هي حالة تضارب بين الفاعلين على ساحة التغيير تتجاذب فيما بينها، الأمر الذي ضاعت فيه كل محاولات الإصلاح الجادة التي تستجيب إلى مطالب هذا

المجتمع المسلم وتلي حاجاته ، وبقيت الجامعة الجزائرية رهينة جدل الإصلاحات المستمرة والمتجددة غير منتهية⁽¹⁵⁾ ورغم محاولات إيقاف هذا الصراع لازال الحسم في تبني مناهج على مقاس الدولة والمجتمع الجزائري، ووفقا لمتطلباته شاهد على المأزق الذي تعيشه المنظومة الجامعية خاصة والمنظومة التعليمية عامة، هذا ما تصدقه تراتبية ومكانة الجامعة الجزائرية عربيا وعالميا في سلم التصنيف يؤكد على وجود خللا في سياسات التكوين المنتهجة، وصدقت فينا مقولة ابن خلدون "المغلوب مولع بالغالب".

من المعلوم أن التعليم العالي يشكل القضية الحيوية لأنه يعنى بإعداد الإنسان المثقف وهو محور الأساس لكل قضية تنمية كان من المفروض تبني مناهج ذات تصورات علمية مخططة وفق إستراتيجية تضع في اعتبارها تصورات مستقبلية واستعداد لمعالجة المشكلات وتوقعات والقدرة على التصدي لها وتنوؤ بآثارها والاستشراف المبني على مكانيزات علمية متطورة والعمل على التوسع النوعي الكيفي لا على الحشو الزائف المعتمد على الكم والنمطية الدوغمائية⁽¹⁶⁾ فالجامعة لم تعد في عصرنا الحالي تقاس بعدد طلابها أو هياكلها التحتية بل تقاس بعدد أبحاثها العلمية والأطروحات التي تساهم في تنمية مجتمعاتها المحلية والوطنية وحتى العالمية، وإعداد أجيال وتأهيلها وتكوينها وفق مناهج علمية تساهم بها في بناء مجمع المعرفة الذي أصبح الرهان أمام المجتمعات المعاصر.

6- العلوم الاجتماعية والإنسانية والتنمية:

يندرج موضوع التنمية ضمن القضايا المعاصرة التي اقتحمتها العلوم الاجتماعية ولاسيما الانترولوجيا إذ ظل ومن عقود طويلة هذا الموضوع حكرا على علوم وحقول معرفية بعينها: كالعلوم السياسية والاقتصادية بالخصوص، إلا أن اهتمام العلوم الاجتماعية والإنسانية وخصوصا

الأنثروبولوجيا بقضايا التنمية في أبعادها الثقافية والاجتماعية شكل الاستثناء مما جعل العديد من العلوم المختصة بالتنمية تعيد النظر في أطرها المرجعية وتصوراتها النظرية على اعتبار أن التنمية هي صيرورة اجتماعية وثقافية وإنسانية في⁽¹⁷⁾ أساسها تتغير من مجتمع لآخر حسب طبيعة كل مجتمع وبما يتميز به، فلا يمكن فهم التنمية وأشكالها وتعقيداتها دون سبر أغوار البناء الاجتماعي والثقافي الذي يتأسس عبره المجتمع وفهم طبيعته من خلال فهم عاداته وعقيدته وقيمه التي يرسمها أفراد المجتمع أثناء علاقاتهم وتفاعلاتهم، ولا يمكن تصور تغييب العلوم الإنسانية والاجتماعية عن البحث والتنظير خدمة للمجتمع ودفعاً لتنميته وتنمية قدرات الإنسان وكشفاً لمواهبه لفهم الواقع الاجتماعي ودفعاً بالوعي العقلي إلى مراتب التفكير الراجي، وفي هذا المجال يجب أن تقوم العلوم الإنسانية والاجتماعية بدور مهم في تحليل الشروط التي يمر عبرها المجتمع الجزائري حيث تبنى وتركب حول ضرورة التفكير النقدي للمجتمع بالتركيز على علاقاته والكشف عن الحقائق التي توطر تركيباته الاجتماعية والثقافية وسياسية قصد المساهمة في تطوير طرق التفكير، وتغيير نمط علاقاته لمسايرة الواقع من خلال الممارسات اليومية، ومن خلال هذا الطرح تكون الجامعة المؤسسة الجديرة بهذه المهمة حتى تتمكن من تحقيق التطور وملاحقة الدول المتقدمة فإن الأمر يقتضي الاهتمام بالموارد البشرية وذلك بإعداد مواطن جزائري صالح وإيجاد كوادر قادرة على التفاعل مع متغيرات العصر⁽¹⁸⁾.

أن مهمة هذه العلوم هي تأسيس نظرة شاملة وعقل نقدي يكون باتصال وثيق بحياة الأفراد داخل مجتمعاتهم وعلى دراية تامة بتطلعاتهم وأهدافهم فهذه المهمة تكمن في التحرير والتنوير وتهيئة المناخ لبروز فكر جديد، فكر يمكنه أن يبادر ويساهم في إعادة تشكيل تصورات في النظر إلى

الواقع المعاش والمساهمة في تحريك وتحويل المجتمع وبصورة جذرية بمفهوم عقلائي يتشكل في أذهان الناس ليتحقق التغيير الهادئ والسلمي، وتتجلى هذه المهمة ويتحقق هدفها عندما يكون لتكوين هندسة ذات توصيف علمي ومخطط تساهم فيه الفلسفة بدور الريادي وذلك بتقربها من العلوم الاجتماعية، مما يجعل نتائجها في اتصال دائم بحياة المجتمع ومصالحهم وآمالهم ومحاولة احتواء لمنهجية القضايا التي تثار على مستوى المجتمع وأهم من ذلك هو تمكين من توصيل الخطاب الفلسفي المؤثر إلى الأوساط غير أكاديمية و إلى الجماهير عامة.

7- العلوم الاجتماعية والإنسانية ودور هندسة التكوين في تشكيل العقل النقدي للطالب:

"التعلم بدون تفكير جهد ضائع وتفكير بدون تعلم أمر مخوف بأشد المخاطر" هي حكمة ليكونفيسوس ولها صلة مع العبارة الموجزة " المعرفة قوة" والتفكير هو أمضى أسلحة المعرفة الإنسانية، أما التفكير الرديء هو أخطر العوامل التي تؤدي إلى الزوال. إن محتوى المعرفة والعلم لا يمكن اكتسابه إلا من قبل من يتمعن التفكير فيه، وارتباط التفكير بالمحتوى التعليمي يعني التركيز على ماذا نفكر فيه والاهم كيف نفكر بصورة مطلقة.

لقد أثبت علم النفس المعرفي أن التعلم في أصله غريزة، لكن من رواسب الماضي حول التفكير التي سيطرت على الأذهان حتى وقت قريب أن التفكير موهبة ولا يقبل التعلم، وهي إحدى الرواسب التي ارتبطت بتربية عصر الصناعة، والتي أصبح لزاما على تربية عصر المعلومات وعصر مجتمع المعرفة ضرورة التخلص منها، فأحدى أهم غايات المنوطة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية هي ترسيخ⁽¹⁹⁾ القاعدة التي تصرح بقولها: تعلم لتكون، تعلم ليكون لك انفرادك، تعلم لتسود، وتعلم لتتعلم، هي إذا المهمة الأساسية التي

تبنى عليه قواعد هندسة التكوين لتشكيل العقول النقدية لدى الطلاب حتى يكونوا لبنة في إعادة تشكيل مجتمعاتهم، بما يتلاءم مع الواقع المعاصر، إن المهمة الأساسية هي تفعيل دور النقد، لا نتناول العلوم بدون تمحيص للفكر ولأن المهمة الأساسية والمغزى الأهم هو ممارسة النقد بشكله البناء والموضوعي القابل للمحاورة والبرهان يعتمد على التحليل والكشف، لا يتقيد بشروط، ويقبل التصحيح، ويمارس بفعل الإستمولوجي وخاصيته التطور ومهامه تحقيق التنمية الشاملة، فالعلوم الإنسانية والاجتماعية لها من المهام ما يجعلها في ريادة العلوم بفضل هذه الخاصية العلمية والمنهجية الهامة والأساسية فتطرح الإشكاليات، وتحلل لتصل إلى بواطن الظواهر، وتقوم بمهام التقييم والتقييم لتحديد الصلاحية من البطلان،⁽²⁰⁾ وتقي بهذا الجهاز المفاهيمي والمقولات المعرفي العقول من أن تسبك في قوالب جامد، وتنزع الأصنام من العقول حتى تحررها، هذا مانرمي تحقيقه من مهام هندسة التكوين في هذه العلوم، فالتعليم الجامعي أصبح يسيطر عليه داء التلقين، ولا يهتم بالتفكير في جانبه النقدي، وقد لا نجد في أغلب جامعاتنا الجزائرية مقرر "مقياس" واحد لتدريس التفكير النقدي، وبمعامل مرتفع يبين أهميته، وقد يأخذ على شكل معيار أساسي في عملية التقييم للطلاب، وعليه نؤكد أننا لا يمكن أن ننتظر نتائج من تكوين لا يأخذ بالحسبان مقاييس تهتم بالجانب النقدي لكل مقياس، لأن المهمة الأساسية لكل الطالب في هذه العلوم أن يكون قد تجهز بهذه المقولات المفاهيمية لممارسة النقد ابستومولوجيا أثناء تكوينه العلمي حتى يكون ذا فاعلية يساهم في بناء صرح مجتمعه.

ويطرح الكثير من المفكرين العرب سؤالاً يبدو فضفاضاً مع أنه في منتهى الأهمية ألا وهو: كيف يمكن إعادة تشكيل بنية العقل العربي، وهو الذي باتت تسيطر عليه الغيبية والتعصب والتحيز ورفض الآخر؟ ويجيبون لن

يتم ذلك إلا بإعادة بناء تركيب الأفكار والمبادئ والقيم في عقل الإنسان العربي، فمن سيقوم بتلك المهمة ياترى؟ أليست العلوم الاجتماعية والإنسانية كالفلسفة وعلم الاجتماع وعلم الأديان والتاريخ والسياسة وعلم النفس والجغرافيا .

فالعلوم الإنسانية تتضاعف أهميتها في عصرنا الحالي أكثر من أي وقت مضى كي نفهم التحولات التي طرأت على الذهنية العربية ثم نسعى إلى هدم الرواسب المعطلة للتطور، ونبدأ بتأسيس البنيان الفكري الثقافي والاجتماعي والنفسي للإنسان العربي من جديد، ويتساءل هؤلاء كيف يمكن أن يقتحم مستقبله قبل أن يفهم ماضيه فينقحه مما علق به؟ أليس في دراسة التاريخ ما يضع بين أيدينا مكان الخلل فنعالجها، أليست الجغرافيا ترشدنا إلى حجم ثروتنا ومواردنا فنحافظ عليها ونمنع منها الطامعين فيها الذين يدمرونا ويخربون أوطنا بسببها.

إذا فدراسة العلوم الاجتماعية والإنسانية باتت ضرورة ملحة ، تساعدنا على زرع الوعي في المواطن العربي وتعميق ثقافته في شتى مناحي الحياة، فننمي فيه القدرة على استيعاب المشكلات سواء على مستوى الفردي أو على حساب انتماءهم الاجتماعي. إن ما يبني المجتمع ويحقق عظمته وتفردته هو الإنسان العارف، من خلال قيمه الروحية وأخلاقه ومبادئه التي يؤمن بها، فإن نحن أهملنا العلوم الإنسانية والاجتماعية فإننا نكون ببساطة كمن يجعل الإنسان مجرد آلة صماء، لا هم لها سوى الاستهلاك واستيراد الإنتاج المادي خاصة ونحن في عصر الاستهلاك الذي تدعمه الرأسمالية الجديدة، وحتى هذا الإنتاج المادي البحث لن يزدهر إلا بازدهار الأفكار والمبادئ والقيم الروحية لهذا الإنسان⁽²¹⁾ ويرد على رافضون إلى تطوير العلوم الاجتماعية في

²² جامعاتنا ومدارسنا في قولهم بأنها صارت لا قيمة لها، نظرا إلى بطالة التي تفتك بدارسيها وعدم احتياج المجتمع إليهم.

"إن العيب ليس في العلوم الاجتماعية نفسها، وإنما في أنظمتنا التعليمية المهترئة وهو التدهور الذي لم يقتصر على العلوم الإنسانية⁽²³⁾ وحدها، بل يمتد ليشمل العلوم التطبيقية نفسها كالفيزياء والكيمياء والطب والهندسة" كما يرد مريدي العلوم الإنسانية والاجتماعية على ذلك بان: الدافع المعنوي للفرد والذي يحفزه على المزيد من العطاء والإنتاج هي العلوم الاجتماعية المسؤولة عن خلق الإبداع وتنمية، فهذا دافع للأفراد من خلال بث القيم التي تحث على بذل الجهد والتفاني في العمل والاجتهاد⁽²⁴⁾.

ويذكرنا هؤلاء بأن الحضارة الأوروبية الحديثة قامت على أكتاف الفلاسفة والمثقفين وأدباء والفنانين الذين مهدوا الطريق أمام البحارة وأرباب الصناعة والمزارعين، إذ إن الأفكار هي التي تصنع الحضارات، وليست الآلات والمكانات، وما ينقص الأمة العربية في هذه اللحظة الفارقة في تاريخها هو التنوير وتحديث الأفكار باعتبارهما الطريق الوحيد لتحقيق التنمية المنشودة. وإذا كان ثمة مجتمع على وجه الأرض الآن في أمس الحاجة إلى تلك العلوم الإنسانية فهو المجتمع العربي لكونه يعاني الإرباك الروحي والفكري والنفسي والاجتماعي، وليس أدل على ذلك منتفشي العنف والتطرف وصولا إلى الإرهاب، ما يحتاج إليه العرب هو تطوير مناهج البحث وإتاحة المعلومات أمام الباحثين والتخلص من أكذوبة أن الإنسان لم يعد يحتاج إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية.

خلاصة:

ولن تثمر الجهود الإصلاحية من دون أن تتمحور حول مهارات التفكير لدى مخططي هندسة التكوين في هذه العلوم بتحدياتها ومطالبها وضرورتها

وواقعها، وهي بمثابة التحدي الكبير لإحداث نقلة نوعية إلى نظم التعليم الجامعي، وأحد أهم المطالب التي يجب أن يعيها كل القائمين على شأن المقررات البيداغوجية والديداكتكية في التعليمية العلمية للمناهج الدراسية و كل أستاذ جامعي بوصفه الأدرى بالوضع ليعمل على تجسيدها وتحقيقها، وبالمثل يجب أن يعلم كل طالب ينتمي إلى هذه العلوم أنه ملزم بتعلم مكاميزم النقد في شكله الذي يهدف إلى البناء لا غير، إذا أراد أن يتمكن من تحقيق وجوده الفعلي كما يجب تخلي على التعلم بأسلوب التلقين وتكديس، الذي لا يحقق به الطالب إلا اجترار ما قيل له، فمن الغايات الواجب تحقيقها في عملية التكوين والتي أجمع عليها كل الخبراء ونرى أننا منأجدر أن نأخذ بها ونعمل على تحقيقها هي " تعلم لتعلم " " تعلم لتكون " تعلم لتشارك " تعلم لتعمل لنحقق التنمية المرجوة ونتقل بمجتمعنا إلى مصاف المجتمعات المعاصرة التي لا تقبل بالاندماج مع كل مجتمع تأخر عن الالتحاق بمجتمع المعرفة الذي أصبح سمة العصر وصدق "شيكسبير" لما قال إن مشكلة هي أن تكون أو لا تكون ذلك ما نعيشه حاليا عصر لا ينظر ولا ينتظر ولا يعترف بالتأخر عن الركب الكوني العولمي لهذا يقتضي التوجه الإصلاحى مقارنة شاملة تتضافر فيها الجهود لتحسين وأعداد طالب والجهاز المكون له ليتمثل الحس والدور المنوط بهما كنخب للمجتمع وضرورة ملائمة هذا الإصلاح مع حاجيات الثقافية والاقتصادية والعقائدية ولتقريب الجامعة من محيطها ، فمخرجات الجامعة مرتبط بما سبقها من إصلاح وما اتصل به من تكوين لذا يربط الكثير من المفكرين المعاصرين بين التقدم في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية وظاهرة التنمية باعتبار الإنسان محور الأساس للتنمية .

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- بدر أحمد أنور ، مدخل الى الإنسانية و العلوم الاجتماعية ،دار الثقافة العلمية،الاسكندرية، ط2009،1،ص49.
- 2- كبار عبد الله ، الجامعة الجزائرية ومسيرة البحث العلمي تحديات وأفاق ، مجلة العلوم الانسانية ، العدد 16 2004 ،ص 125.
- 3- المرجع نفسه، ص 128
- 4- نورة بوحناش ، العقل العربي الراهن أمام عائق التحول ، سؤال الحداثة والتنوير بين الفكر الغربي والفكر العربي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ،ص180
- 5- تمام إسماعيل تمام، الاتجاهات المستقبلية في التدريس العلوم ، الأنست الحديث ، مصر ، 1990 ،ص21،
- 6- مخداني نسيم ، التعليم العالي في ظل عصر مجتمع المعرفة ، حوليات جامعة الجزائر العدد25 الجزء الثاني ، الجزائر 2014.
- 7- إصلاحات التعليم العالي المعاصر الراهن والأفاق ، أعمال يوم دراسي جامعة مولود معمري تيزوزو، الجزائر (ب ص) 2013
- 8- نورة بوحناش العقل العربي الراهن أمام عائق التحول ، سؤال الحداثة والتنوير بين الفكر الغربي والفكر العربي ، مرجع سابق ، ص 180.
- 9- المرجع نفسه، ص181.
- 10- المرجع نفسه، ص182.
- 11- بلعقروز عبد الرزاق ، تحولات الفكر الفلسفي المعاصر ، منشورات دار الإختلاف ، ط 1، الجزائر ،2009، ص09.
- 12- يمني طرف خولي، مشكلة العلوم الإنسانية وإمكانية حلها، دار الثقافة،القاهرة،1990، ص09.
- 13- المرجع نفسه، ص203.
- 14- أسامة بن صادق الطيب، نحو مجتمع المعرفة، جامعة الملك عبد العزيز، ط1، (د.ت)، ص125.
- 15- المرجع نفسه، ص126
- 16- بلعقروز عبد الرزاق ، تحولات الفكر الفلسفي المعاصر ، مرجع سابق ، ص125.
- 17- المرجع نفسه ص185.
- 18- عبد الكريم بكار، مدخل الى التنمية المتكاملة ، رؤية إسلامية ، دار القلم ، دمشق ، ط 2 ، 1999 ، ص 47-48 ،

- 19- فهد بن إبراهيم الحبيب، مستقبل التعليم العالي في المملكة السعودية، مؤتمر الاستشراق (د. ط) ، ص302.
- 20- صلاح قنسوه ، الموضوعية في العلوم الإنسانية ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، 2007، ص125.
- 21- المرجع نفسه، ص133.
- 22- خليل علي، العقل العربي ومجتمع المعرفة، مظاهر الأزمة اقتراحات وحلول، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2009، ص201.
- 23- عبد الكريم بكار ، مدخل الى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية ، مرجع سابق ، ص36.
- 24- المرجع نفسه، ص12.